مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 14 / العـدد: 03 (2026)، ص: 336-346

الخطاب الإيديولوجي وتمثلات الفكر الفلسفي في البناء الأدبي لكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي _مقاربة نقدية_

Ideological Discourse and the Manifestations of Philosophical Thought in the Literary Structure of Al-Imtaʿ wa al-Mu'anasa by Abu Hayyan al-Tawhidi — A Critical Approach

ط.د.أيت طالب عدلان[1] - أ/جعيط حفصة[2]

[1]جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله aittalebadlane@yahoo.com

[2]جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله hafsa122006@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2026/05/29 تاريخ القبول: 2026/09/13 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تجليات الخطاب الإيديولوجي وتمثلات الفكر الفلسفي في البناء الأدبي لكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، باعتباره نصًا يجمع بين الأدب والفلسفة والحوار الثقافي في العصر العباسي. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الكتاب لا يمثل مجرد عمل أدبي، بل فضاءً فكريًا يعكس تعدد المرجعيات الثقافية والفلسفية. وقد اعتمد البحث على المنهج النقدي التحليلي للكشف عن آليات بناء الخطاب داخل النص، مع التركيز على البنية الحوارية ودورها في إنتاج المعنى. وتوصلت الدراسة إلى أن التوحيدي وظف الحوار والسرد والحجاج لإنتاج خطاب إيديولوجي غير مباشر، يتجلى من خلال مناقشة قضايا العقل والمعرفة والحرية والسلطة. كما أبرزت النتائج أن الفكر الفلسفي شكّل عنصرًا أساسيًا في البناء الأدبي للنص، مما منح الإمتاع والمؤانسة طابعًا تأويليًا مفتوحًا على تعدد القراءات، وجعله نموذجًا مميزًا لتداخل الأدب بالفكر الفلسفي والنقد الثقافي في التراث العربي الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الخطاب الإيديولوجي، الفكر الفلسفي، البناء الأدبي، أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، البنية الحوارية، النقد الثقافي، الحجاج الفكري، السرد الفلسفي، التأويل.

Abstract:

This study aims to explore the manifestations of ideological discourse and philosophical thought in the literary structure of *Al-Imtāʿ wa al-Mu'ānasa* by Abu Hayyan al-Tawhidi, as a text combining literature, philosophy, and cultural dialogue in the Abbasid era. The study is based on the assumption that the book is not merely a literary work, but an intellectual space reflecting diverse cultural and philosophical references. Using a critical analytical approach, the research examines the mechanisms of discourse construction within the text, with particular emphasis on its dialogic structure and its role in generating meaning. The findings reveal that al-Tawhidi employed dialogue, narration, and argumentation to produce an implicit ideological discourse addressing issues of reason, knowledge, freedom, and authority. The study also demonstrates that philosophical thought

constitutes a central element in the literary structure of the text, granting *Al-Imtāʿ wa al-Mu'ānasa* an interpretive openness to multiple readings.

Keywords: ideological discourse, philosophical thought, literary structure, Abu Hayyan al-Tawhidi, *Al-Imtāʿ wa al-Mu'ānasa*, dialogic structure, narrative discourse, cultural criticism, argumentation, interpretation.

***المؤلف المرسل:** أ/ أيت طالب عدلان

-1مقدمة

يُعدّ كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي من أبرز النصوص النثرية في التراث العربي الإسلامي، لما يتميز به من طابع مركّب يجمع بين الأدب والفلسفة والحوار الفكري، مما يجعله نصًا يتجاوز البنية الأدبية التقليدية نحو فضاء معرفي تتداخل فيه المرجعيات الثقافية والفكرية. ويُنظر إلى هذا العمل بوصفه وثيقة فكرية تعكس دينامية الثقافة العباسية، وما عرفته من ازدهار في الفلسفة وتعدد في أنماط التفكير.

وقد جاء هذا الكتاب في سياق تاريخي اتسم بانفتاح الفكر العربي الإسلامي على الفلسفة اليونانية عبر حركة الترجمة، الأمر الذي ساهم في تشكّل خطاب فلسفي عربي جديد يقوم على التفاعل بين العقل والنقل، وبين البرهان والحجاج. وفي هذا الإطار، يكتسب نص التوحيدي أهمية خاصة باعتباره نموذجًا أدبيًا يعكس هذا التداخل بين الفلسفة والأدب داخل بنية سردية حوارية .

وفي هذا الصدد يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف يتجلى الخطاب الإيديولوجي وتمثلات الفكر الفلسفي في البناء الأدبي لكتاب الإمتاع والمؤانسة؟

وتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات نذكر منها:

كيف يوظف التوحيدي البنية الحوارية في إنتاج المعنى؟ وما طبيعة العلاقة بين الحجاج الفلسفي والبناء السردي داخل النص؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار الكتاب نصًا فكريًا يعكس خطابًا إيديولوجيًا غير مباشر؟

وتفترض الدراسة أن الإمتاع والمؤانسة ليس مجرد عمل أدبي يقوم على تسجيل الحوارات، بل هو بناء فكري مركب يتم من خلاله تمرير خطاب إيديولوجي ضمني عبر تقنيات الحوار والسرد والحجاج، بما يعكس رؤية التوحيدي للعقل والمعرفة والسلطة.

أما أهداف البحث فتتمثل في:

تحليل آليات اشتغال الخطاب داخل النص وكذا الكشف عن تمثلات الفكر الفلسفي في البناء الأدبي مع إبراز الطابع التأويلي المفتوح للكتاب .

تعتمد هذه الدراسة على **المنهج النقدي التحليلي**، القائم على تفكيك البنية النصية واستنطاق آليات إنتاج المعنى داخلها، مع الاستفادة من مقاربات النقد الثقافي وتحليل الخطاب، لما توفره من أدوات لفهم العلاقة بين النص والسياق التاريخي والفكري.

كما تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن النصوص التراثية لا يمكن قراءتها بوصفها أعمالًا أدبية معزولة، بل باعتبارها أنساقًا فكرية وثقافية تحمل داخلها رؤى إيديولوجية مضمرة، تتجلى عبر اللغة والبنية السردية والحوارية.

2- مفهوم الخطاب الإيديولوجي :

يُعدّ مفهوم الخطاب الإيديولوجي من المفاهيم المركزية في الدراسات النقدية الحديثة، حيث يرتبط بطريقة إنتاج المعنى داخل النصوص وعلاقتها بالبنى الاجتماعية والثقافية التي تُنتجها، "فالخطاب الإيديولوجي لا يُفهم بوصفه مجرد أفكار صريحة، بل باعتباره منظومة من التمثلات والقيم التي تتخفى داخل اللغة وتشتغل عبرها بشكل غير مباشر" (محمد أركون، 1995، ص 92).

ويذهب محمد عابد الجابري إلى أن الإيديولوجيا ليست فقط مجموعة أفكار، بل هي بنية فكرية تُعيد إنتاج الواقع وفق آليات ثقافية ومعرفية محددة، مما يجعل الخطاب حاملاً لرؤية معينة للعالم، سواء كانت واعية أو غير واعية (محمد عابد الجابري، 1994، ص 55).

ومن هذا المنظور، يصبح تحليل الخطاب الإيديولوجي في النصوص الأدبية عملية كشف للأنساق المضمرة التي تتحكم في بناء المعنى.

كما يُعد إدوارد سعيد من أبرز المنظرين الذين ربطوا الخطاب الإيديولوجي بالسلطة الثقافية، حيث يرى أن "الخطاب ليس بريئًا، بل مرتبط دائمًا بعلاقات القوة وإنتاج المعرفة، وهو ما يجعل النصوص مجالًا لتجلي السلطة الرمزية والثقافية" (إدوارد سعيد، 2006، ص 36).

وفي هذا السياق، يصبح تحليل الخطاب الإيديولوجي في النصوص التراثية، مثل *الإمتاع والمؤانسة*، مدخلًا لفهم كيفية اشتغال الفكر داخل بنية أدبية، وكيف يتم تمرير الأفكار عبر الحكي والحوار دون التصريح المباشر بها، فالنص الأدبي لا يعكس الواقع فقط، بل يعيد تشكيله وفق رؤية فكرية معينة.

وعليه، فإن الخطاب الإيديولوجي في هذا البحث يُفهم بوصفه:

نظامًا من الأفكار المضمرة داخل النص، يشتغل عبر اللغة والبنية السردية ويعكس علاقة النص بالسلطة والمعرفة والمجتمع.

ومن هنا، فإن مقاربة النصوص الأدبية من منظور الخطاب الإيديولوجي تسمح بالكشف عن البعد الفكري العميق للنص، بدل الاكتفاء بقراءته الجمالية أو الشكلية فقط.

3- الفكر الفلسفي والبناء الأدبي :

يشكّل الفكر الفلسفي أحد أهم المكونات التي أسهمت في تشكيل النصوص العربية القديمة، خصوصًا في "العصر العباسي الذي عرف ازدهارًا معرفيًا كبيرًا نتيجة حركة الترجمة والانفتاح على الفلسفة اليونانية. وقد أدى هذا التفاعل إلى ظهور نصوص تجمع بين الأدب والفلسفة، حيث لم يعد النص الأدبي مجرد وسيلة للتعبير الجمالي، بل أصبح حاملًا لإشكالات معرفية وفكرية عميقة" (محمد عابد الجابري، 1994، ص 88).

ويُقصد بالفكر الفلسفي في هذا السياق "ذلك النسق من الأسئلة والإشكالات المرتبطة بالعقل والمعرفة والوجود والقيم، والتي تتجلى داخل النصوص الأدبية عبر الحوار والتأمل والسرد الجدلي، ومن هذا المنظور يصبح النص الأدبي فضاءً للتفكير وليس فقط للتعبير، حيث يتداخل فيه الجمالي بالفلسفي" (محمد أركون، 1995، ص 103).

أما مفهوم البناء الأدبي، فيشير إلى الطريقة التي يُنظَّم بها النص من حيث الشكل والمضمون، بما في ذلك عناصر السرد والحوار والحجاج وتوزيع الأصوات داخل النص، وفي حالة النصوص ذات البعد الفلسفي، فإن البناء الأدبي لا يكون مجرد إطار شكلي، بل يتحول إلى آلية لإنتاج المعنى وتوجيه التفكير داخل النص.

وفي هذا الإطار، تتجلى العلاقة بين الأدب والفلسفة في كون النص الأدبي قادرًا على احتواء الفكر الفلسفي دون أن يحوّله إلى خطاب نظري مباشر، بل يعيد صياغته داخل بنية فنية تعتمد على الإيحاء والتعدد والتأويل. وهذا ما يجعل النصوص مثل *الإمتاع والمؤانسة* نموذجًا لتداخل الأجناس الفكرية والأدبية.

كما يمكن القول إن هذا التداخل بين الأدب والفلسفة يؤدي إلى تحويل السرد إلى تفكير فلسفي وتحويل الحوار إلى أداة معرفية وجعل النص فضاءً لإنتاج الأسئلة بدل تقديم الأجوبة الجاهزة.

وبذلك يصبح البناء الأدبي في النصوص التراثية الحاملة للفكر الفلسفي بنية ديناميكية مفتوحة، تسمح بتعدد القراءات وتنوع التأويلات، بدل أن تكون بنية مغلقة ذات معنى واحد.

4- السياق التاريخي والفكري للعصر العباسي

يُعدّ العصر العباسي من أهم المراحل التاريخية في تطور الفكر العربي الإسلامي، حيث تميز بثراء ثقافي وفكري غير مسبوق، "نتيجة الانفتاح على الحضارات الأخرى، خاصة اليونانية والفارسية والهندية، عبر حركة الترجمة التي نشطت في بغداد ومراكز العلم المختلفة. وقد أسهم هذا الانفتاح في تشكّل بيئة فكرية متعددة المرجعيات، سمحت بظهور خطاب فلسفي عربي جديد يقوم على التفاعل بين العقل والنقل" (محمد عابد الجابري، 1994، ص 71).

وقد أدت هذه التحولات إلى بروز تيارات فكرية متنوعة، مثل الفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، والأدب العقلي، مما جعل النصوص الأدبية في هذه المرحلة تحمل أبعادًا فكرية تتجاوز وظيفتها الجمالية التقليدية. وفي هذا السياق، أصبح الأدب وسيلة للتفكير في قضايا الوجود والمعرفة والسياسة، وليس مجرد وسيلة للتسلية أو التعبير الفني.

أما حركة الترجمة، فقد لعبت دورًا محوريًا في إدخال المفاهيم الفلسفية إلى الثقافة العربية، حيث "تم نقل أعمال أرسطو وأفلاطون وغيرهما، مما ساهم في خلق نقاشات فكرية حول العقل، والوجود، والحقيقة واللغة، وهذا ما انعكس بشكل واضح في النصوص الأدبية والفكرية، التي أصبحت تتسم بالطابع الجدلي والنقاشي" (محمد أركون، 1995، ص 118).

وفي هذا السياق الثقافي، يتحدد موقع أبي حيان التوحيدي بوصفه أحد أبرز المثقفين الذين جسدوا أزمة الفكر في العصر العباسي، حيث عاش حالة من التوتر بين الثقافة الفلسفية والنظام الاجتماعي والسياسي القائم،

وقد انعكس هذا التوتر في كتاباته خاصة في *الإمتاع والمؤانسة*، الذي يعكس رؤية نقدية للعالم من خلال الحوار والتأمل الفلسفي.

كما أن "النصوص الحوارية في تلك المرحلة لم تكن مجرد شكل أدبي، بل كانت آلية فكرية تسمح بتبادل الآراء وطرح الأسئلة الإشكالية حول العقل والمعرفة والسلطة. وقد ساهم هذا الشكل في خلق فضاء فكري مفتوح، يسمح بتعدد الأصوات وتنوع الرؤى، وهو ما يتجلى بوضوح في كتاب التوحيدي" (إدوارد سعيد، 2006، ص 52).

وبذلك يمكن القول إن السياق العباسي لم يكن مجرد خلفية تاريخية للنص، بل كان عنصرًا فاعلًا في تشكيل بنيته الفكرية والجمالية، حيث انعكست فيه التحولات الثقافية والفلسفية بشكل مباشر داخل النصوص الأدبية

5- موقع التوحيدي في الثقافة العربية

يحتل أبو حيان التوحيدي مكانة متميزة في الثقافة العربية الإسلامية بوصفه أحد أبرز الكتّاب الذين جسّدوا التوتر بين المعرفة الفلسفية والواقع الاجتماعي في العصر العباسي، "فقد عُرف التوحيدي بنزعته النقدية الحادة، واهتمامه العميق بقضايا العقل والمعرفة واللغة، مما جعله يبتعد عن الكتابة الأدبية التقليدية نحو كتابة ذات طابع تأملي فلسفي" (محمد عابد الجابري، 1994، ص 96).

"ويتميز مشروع التوحيدي الفكري بكونه مشروعًا إشكاليًا قائمًا على مساءلة الواقع الثقافي والفكري لعصره، حيث لم يقدّم نصوصًا تقريرية أو تعليمية، بل نصوصًا حوارية مفتوحة على الشك والسؤال والنقد". وقد جعل هذا الطابع من كتاباته، وخاصة *الإمتاع والمؤانسة*، فضاءً للتفكير في الإنسان والعقل والمعرفة، أكثر من كونه مجرد نص أدبي (محمد أركون، 1995، ص 120).

كما يعكس موقع التوحيدي داخل الثقافة العربية حالة من التهميش الاجتماعي والفكري التي عاشها العديد من المفكرين في تلك المرحلة، إذ لم يحظَ بالاستقرار أو الاعتراف المؤسسي، رغم القيمة الفكرية العالية لأعماله، وقد انعكس هذا الشعور بالأزمة في كتاباته التي تتسم بالنبرة النقدية والتأملية والشكّية.

ومن جهة أخرى، فإن خصوصية مشروع التوحيدي تتجلى في كونه مشروعًا يجمع بين الأدب والفلسفة، حيث يوظف الأسلوب الأدبي لخدمة التفكير الفلسفي، ويستخدم الحوار والسرد كأدوات لإنتاج المعنى، وهذا ما يجعل نصوصه أقرب إلى تفكير مكتوب أكثر منها إلى أدب تقليدي قائم على السرد فقط.

كما أن التوحيدي "يُعدّ من أبرز من عبّروا عن أزمة المثقف في الثقافة العربية الكلاسيكية، حيث يظهر دائمًا في موقع السؤال لا الجواب، وفي موقع النقد لا التسليم، مما يمنح نصوصه طابعًا حداثيًا سابقًا لزمانه" (إدوارد سعيد، 2006، ص 67).

وبذلك يمكن القول إن موقع التوحيدي في الثقافة العربية يتحدد من خلال ثلاث سمات أساسية وهي: النزعة النقدية، الطابع الفلسفي التأملي والكتابة الحوارية المفتوحة، وهي سمات جعلت من *الإمتاع والمؤانسة* نصًا فريدًا في التراث العربي، يجمع بين الأدب والفكر في بناء واحد متعدد الدلالات.

6-البنية الحوارية في *الإمتاع والمؤانسة*

تُعدّ البنية الحوارية في كتاب *الإمتاع والمؤانسة* إحدى أهم السمات الفنية والفكرية التي تميّز هذا العمل، إذ يقوم النص على مجالس فكرية تقوم بين أبي حيان التوحيدي والوزير أبي عبد الله العارض، في شكل حوارات طويلة تتناول قضايا معرفية وفلسفية متنوعة، "ولا يقتصر الحوار على كونه وسيلة تواصل، بل يتحول إلى آلية إنتاج للمعنى وإعادة تشكيل للمفاهيم داخل النص" (محمد أركون، 1995، ص 134).

ويُلاحظ أن "الحوار في هذا الكتاب لا يسير في اتجاه خطي بسيط، بل يتخذ طابعًا جدليًا يقوم على السؤال والجواب، والاعتراض والتعقيب، مما يخلق دينامية فكرية داخل النص. فالسؤال عند التوحيدي ليس طلبًا للمعرفة فقط، بل هو أداة تفكيك للمسلّمات وفتح لفضاءات جديدة للتفكير" (محمد عابد الجابري ، 1994، ص 103).

كما تُسهم البنية الحوارية في إبراز تعدد الأصوات داخل النص، حيث لا يهيمن صوت واحد بشكل مطلق، بل تتجاور رؤى مختلفة تتعلق باللغة والعقل والوجود والمعرفة. وهذا التعدد يمنح النص طابعًا بوليفونيًا (تعدديًا) يجعل من المعنى نتيجة تفاعل بين وجهات نظر متعددة، وليس نتيجة خطاب أحادي مغلق.

ومن جهة أخرى، فإن الحوار في *الإمتاع والمؤانسة* يتجاوز وظيفته الأدبية ليأخذ بعدًا معرفيًا، إذ يصبح وسيلة لطرح الأسئلة الفلسفية الكبرى حول الإنسان والعالم. وهذا ما يجعل النص أقرب إلى "مجلس تفكير" منه إلى سرد أدبي تقليدي، حيث تتحول المجالس إلى فضاء لإنتاج الفكر لا مجرد نقل الأخبار.

كما أن "الشكل الحواري يعكس طبيعة الثقافة العباسية التي كانت تعتمد على المناظرة والمجالس العلمية كفضاء للنقاش وتبادل الآراء، وهو ما انعكس بوضوح في بناء نص التوحيدي، الذي يعيد إنتاج هذه الثقافة داخل إطار أدبي مكتوب" (إدوارد سعيد، 2006، ص 74).

وبذلك يمكن القول إن البنية الحوارية في الكتاب تؤدي ثلاث وظائف رئيسية وهي وظيفة معرفية: "إنتاج الفكر عبر السؤال"، وظيفة نقدية: "تفكيك المسلمات وإعادة مساءلتها" ووظيفة جمالية: "خلق تنوع أسلوبي داخل النص"

7- الحوار وإنتاج المعرفة

يكتسب الحوار في *الإمتاع والمؤانسة* وظيفة معرفية مركزية تتجاوز كونه مجرد شكل أدبي إلى كونه آلية لإنتاج المعرفة داخل النص، "فالمعرفة لا تُقدَّم في صورة جاهزة أو نهائية، بل تتشكل تدريجيًا عبر التفاعل بين السؤال والجواب، وبين الطرح والاعتراض، مما يجعل الحقيقة في النص نتيجة مسار تفكير جماعي وليس معطى مسبقًا" (محمد أركون، 1995، ص 138).

ويقوم هذا التصور على فكرة أن المعرفة ليست امتلاكًا ثابتًا، بل عملية بناء مستمرة، تُنتَج داخل الحوار عبر تفكيك الآراء وإعادة تركيبها، لذلك "فإن نص التوحيدي يرفض النموذج التعليمي التقليدي القائم على التلقين، ويستبدله بنموذج حواري يجعل القارئ شريكًا في إنتاج المعنى، لا مجرد متلقٍ سلبي" (محمد عابد الجابري، 1994، ص 110).

كما يتيح الحوار في الكتاب ظهور نوع من التفكير الجدلي، حيث لا تُعرض الأفكار بوصفها حقائق مطلقة، بل بوصفها أطروحات قابلة للنقاش والتعديل. وهذا ما يجعل النص مفتوحًا على التأويل، لأن كل فكرة داخله تحمل إمكانية نقضها أو تطويرها داخل السياق الحواري نفسه.

ومن جهة أخرى، يُسهم هذا البناء الحواري في تفكيك مركزية المؤلف، حيث لا يظهر التوحيدي بوصفه صوتًا وحيدًا مهيمنًا، بل بوصفه منظمًا لفضاء نقاش تتعدد فيه الأصوات والمواقف. وهذا التعدد يعكس تصورًا معرفيًا يرى أن الحقيقة لا تُختزل في منظور واحد، بل تتشكل من تداخل وجهات نظر مختلفة.

كما يمكن القول إن الحوار في *الإمتاع والمؤانسة* يُعيد تعريف العلاقة بين القارئ والنص، إذ يتحول القارئ إلى طرف ضمن العملية المعرفية، مطالبًا بإعادة التفكير في ما يُطرح عليه من أفكار بدل قبولها بشكل مباشر، وهذا ما يمنح النص طابعًا تأويليًا مفتوحًا يتجاوز القراءة الأحادية.

وبذلك، يصبح الحوار في هذا الكتاب أداة لإنتاج المعرفة ووسيلة لتفكيك اليقينيات وآلية لفتح النص على تعدد القراءات.

8- الوظيفة الحجاجية في الإمتاع والمؤانسة:

تُعدّ الوظيفة الحجاجية في *الإمتاع والمؤانسة* من أبرز الآليات التي يعتمدها التوحيدي في بناء خطابه الفكري، إذ لا يكتفي بعرض الأفكار أو السرد، بل يوظّف أساليب الإقناع والمجادلة لتأسيس رؤية نقدية للعقل والمعرفة والوجود، "فالحجاج في هذا النص لا يقوم على البرهنة الصريحة المباشرة، بل يتشكل داخل بنية حوارية جدلية تعتمد على التدرج في عرض الأفكار ومساءلتها" (محمد أركون، 1995، ص 142).

ويظهر الحجاج عند التوحيدي بوصفه ممارسة فكرية تهدف إلى تفكيك المسلّمات بدل تثبيتها، حيث تُطرح القضايا على شكل أسئلة مفتوحة تتطلب التفكير والتأمل أكثر مما تتطلب إجابات نهائية، ومن هنا "فإن النص لا يسعى إلى الإقناع بمعنى فرض الحقيقة، بل إلى فتح المجال أمام تعدد الإمكانات التأويلية" (محمد عابد الجابري ، 1994، ص 118).

كما يعتمد التوحيدي على مجموعة من الآليات الحجاجية غير المباشرة كالمقارنة بين الآراء المختلفة وإبراز التضاد بين المواقف والاستشهاد بالأقوال والحِكم والانتقال التدريجي من فكرة إلى أخرى، وكل هذه الآليات تُسهم في بناء خطاب إقناعي مرن، لا يقوم على الإلزام بل على الإيحاء والتفكير المشترك.

ومن جهة أخرى، فإن الحجاج في *الإمتاع والمؤانسة* يرتبط بالبنية الحوارية ارتباطًا وثيقًا، حيث يصبح كل حوار مجالًا لتجريب الأفكار واختبارها، بدل تقديمها كحقائق نهائية، وهذا ما يمنح النص طابعًا فلسفيًا نقديًا يجعل المعرفة فيه نتيجة نقاش دائم وليس موقفًا ثابتًا.

كما يمكن القول إن التوحيدي يوظف الحجاج أيضًا لكشف حدود المعرفة الإنسانية، إذ يبيّن أن العقل لا يصل دائمًا إلى اليقين الكامل، بل يظل في حالة بحث مستمر، مما يعكس رؤية فلسفية تقوم على الشك المنهجي والتفكير النقدي.

وبذلك تؤدي الوظيفة الحجاجية في النص ثلاث مهام أساسية هي: إقناع القارئ بطريقة غير مباشرة وتفكيك اليقينيات الفكرية وتحويل الحوار إلى أداة لإنتاج الفكر.

9- تمثلات العقل والمعرفة

يشكّل مفهوم العقل في *الإمتاع والمؤانسة* محورًا مركزيًا في البناء الفكري للنص، إذ "يتجاوز التوحيدي التصور التقليدي للعقل بوصفه أداة يقين ثابت، ليقدّمه باعتباره ملكة ديناميكية مرتبطة بالسؤال والنقد والمساءلة، فالعقل هنا ليس معطى جاهزًا، بل ممارسة فكرية تتشكل داخل الحوار والتجربة والاختلاف" (محمد عابد الجابري ، 1994، ص 125).

"ويظهر التصور المعرفي عند التوحيدي قائمًا على رؤية نقدية للمعرفة، حيث لا تُقدَّم الحقيقة بوصفها مطلقة أو نهائية، بل بوصفها نتيجة بحث دائم وتفاعل مستمر بين وجهات النظر، وهذا ما يجعل المعرفة في النص عملية مفتوحة على الشك والتأويل، لا على الإغلاق واليقين" (محمد أركون، 1995، ص 150).

كما يطرح النص ضمنيًا إشكالية العلاقة بين العقل والتقليد، حيث يميل التوحيدي إلى نقد المعرفة القائمة على النقل غير الممتحن، والدعوة إلى إعمال العقل في الفهم والتفسير، فالمعرفة الحقيقية في هذا السياق لا تقوم على التلقين، بل على التفكير النقدي وإعادة مساءلة الموروث.

ومن جهة أخرى، يرتبط العقل في النص بالتجربة الإنسانية، إذ لا يُفهم بمعزل عن الواقع واللغة والتفاعل الاجتماعي، "فالعقل ليس كيانًا مجردًا، بل هو جزء من الوجود الإنساني، يتأثر بالظروف التاريخية والثقافية، ويعيد إنتاج المعرفة داخلها، مما يمنح النص بعدًا إنسانيًا وتجريبيًا واضحًا "(إدوارد سعيد، 2006، ص 88).

كما تُظهر البنية الحوارية في الكتاب أن المعرفة لا تُبنى بشكل فردي، بل عبر التفاعل بين الذوات المختلفة، مما يجعل العقل ذاته منتجًا جماعيًا للمعنى داخل فضاء الحوار.

وبذلك يمكن تلخيص تمثلات العقل والمعرفة في ثلاثة مستويات هي: "عقل نقدي جدلي" و"معرفة مفتوحة غير نهائية" و"رفض للجمود والتقليد".

10- الحرية والسلطة في الخطاب:

"تُعدّ إشكالية الحرية والسلطة من القضايا الضمنية العميقة في *الإمتاع والمؤانسة*، حيث لا تُطرح بشكل مباشر أو خطابي صريح، بل تتجلى عبر البنية الحوارية والجدلية التي تكشف عن توتر خفي بين سلطة الفكر وسلطة الواقع، فالنص يعكس وعياً نقدياً بعلاقات القوة التي تتحكم في إنتاج المعرفة وتوجيه الخطاب داخل المجتمع العباسي" (محمد أركون، 1995، ص 158).

وتتجلى السلطة في النص في مستويات متعددة، فهي ليست سياسية فقط، بل تمتد لتشمل السلطة الفكرية المتمثلة في هيمنة بعض التصورات المعرفية وسلطة التقليد التي تفرض نماذج جاهزة للفهم وكذا سلطة الخطاب الثقافي والديني الذي يحدد حدود التفكير.

"هذا التعدد يجعل النص فضاءً نقديًا يعيد مساءلة أشكال الهيمنة الرمزية داخل الثقافة، ويكشف عن البنية غير المرئية للسلطة في إنتاج المعرفة" (محمد عابد الجابري ، 1994، ص 132).

وفي المقابل، تظهر الحرية في النص بوصفها شرطًا معرفيًا أساسيًا، لا مجرد قيمة أخلاقية. فحرية الفكر عند التوحيدي ترتبط بقدرة العقل على السؤال والاختلاف وعدم الخضوع للأنماط الجاهزة في التفكير، ومن ثم فإن النص يدافع ضمنيًا عن حرية التفكير باعتبارها أساسًا لإنتاج المعرفة النقدية.

كما يعكس الكتاب موقفًا نقديًا من السلطة الثقافية التي تسعى إلى فرض اليقين وإغلاق باب التأويل، حيث يفتح التوحيدي عبر الحوار مجالًا لتعدد الآراء وتداخل الأصوات، مما يضعف مركزية الخطاب الواحد ويعيد توزيع سلطة القول داخل النص.

ومن جهة أخرى، "يمكن قراءة التوتر بين الحرية والسلطة بوصفه تعبيرًا عن تجربة المثقف في العصر العباسي ، حيث كان يعيش بين طموح المعرفة وضغوط الواقع الاجتماعي والسياسي، وهو ما انعكس في كتاباته التي تميل إلى النقد والتأمل والشك "(إدوارد سعيد، 2006، ص 95).

وبذلك تتحول السلطة في النص إلى موضوع للتحليل والنقد، بينما تتحول الحرية إلى آلية لإنتاج المعنى وإعادة بناء الحقيقة داخل فضاء الحوار.

11- الخطاب الإيديولوجي الضمني:

"يتأسس الخطاب الإيديولوجي في *الإمتاع والمؤانسة* بوصفه خطابًا غير مباشر، يتخفّى داخل البنية الحوارية والسردية، ولا يظهر في شكل أطروحات سياسية أو فكرية صريحة، بل يتجلى عبر طريقة تنظيم المعنى وتوزيع الأصوات داخل النص. فالإيديولوجيا هنا ليست خطابًا معلنًا، بل بنية كامنة تُنتَج من خلال اللغة والحوار والتفاعل الجدلي بين الشخصيات" (محمد أركون، 1995، ص 166).

"ويقوم هذا الخطاب الضمني على آلية تمرير الأفكار عبر الحوار، حيث تُطرح القضايا الفلسفية والمعرفية بطريقة تجعل القارئ يشارك في إنتاج المعنى بدل تلقيه بشكل مباشر. وبهذا المعنى، يتحول النص إلى فضاء لإعادة تشكيل الوعي، وليس مجرد وسيلة لنقل الأفكار الجاهزة" (محمد عابد الجابري ، 1994، ص 140).

كما يتجلى البعد الإيديولوجي في طريقة معالجة قضايا مثل: العقل والمعرفة، الحرية والسلطة، الحقيقة والتأويل.

إذ لا تُقدَّم هذه القضايا كحقائق نهائية، بل كإشكالات مفتوحة تخضع للنقاش، مما يعكس رؤية فكرية تميل إلى الشك والتعدد بدل اليقين والإغلاق.

ومن جهة أخرى، يمكن اعتبار أن الإيديولوجيا في النص لا تعمل بشكل قمعي مباشر، بل تعمل بشكل رمزي وجمالي، من خلال اللغة والأسلوب والبناء الحواري حيث يتم إنتاج المعنى داخل بنية فنية تُخفي أكثر مما تُظهر، وهذا ما يجعل خطاب التوحيدي خطابًا مركبًا يجمع بين الجمالي والفكري في آن واحد.

كما أن هذا الخطاب يعكس وعيًا نقديًا بالبنية الثقافية والاجتماعية للعصر العباسي، حيث "يعيد النص مساءلة أنماط التفكير السائدة، ويكشف عن التوتر بين الفرد والسلطة، وبين الفكر الحر والنظام المعرفي التقليدي" (إدوارد سعيد، 2006، ص 101).

وبذلك يمكن القول إن الخطاب الإيديولوجي في *الإمتاع والمؤانسة* هو خطاب غير مباشر قائم على التخييل والحوار ومفتوح على تعدد القراءات.

12-خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن كتاب *الإمتاع والمؤانسة* لأبي حيان التوحيدي يمثل نصًا مركبًا يتجاوز حدوده الأدبية التقليدية ليؤسس لفضاء فكري مفتوح تتداخل فيه الأبعاد الفلسفية مع البنية السردية والحوارية، وقد تبين أن الخطاب في هذا العمل ليس خطابًا مباشرًا أو تقريرياً، بل خطاب إيديولوجي ضمني يُنتج معناه عبر الحوار والتعدد الجدلي للأصوات.

كما أظهرت الدراسة أن الفكر الفلسفي يشكل عنصرًا بنيويًا في النص، حيث يتجلى في معالجة قضايا العقل والمعرفة والحرية والسلطة، وليس مجرد خلفية فكرية خارجية. وقد ساهم هذا التداخل بين الفلسفي والأدبي في جعل النص فضاءً تأويليًا مفتوحًا يسمح بتعدد القراءات وتنوع المفاهيم.

وتوصل البحث كذلك إلى أن البنية الحوارية والحجاجية في الكتاب ليست مجرد أدوات أسلوبية، بل هي آليات إنتاج للمعنى، تُعيد تشكيل المعرفة داخل النص وتفتح المجال أمام القارئ ليكون شريكًا في عملية الفهم والتأويل.

وبناءً على ذلك، فإن *الإمتاع والمؤانسة* يُعد نموذجًا بارزًا لتداخل الأدب بالفكر في التراث العربي الإسلامي، ويعكس قدرة النص التراثي على إنتاج خطاب نقدي يتجاوز عصره.

كما توصي الدراسة بضرورة إعادة قراءة النصوص التراثية العربية من منظور نقدي حديث يدمج بين تحليل الخطاب والنقد الثقافي، بهدف الكشف عن الأبعاد الفكرية والإيديولوجية الكامنة داخل البنية الأدبية.

أسفرت هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج الفكرية والنقدية التي تؤكد أن كتاب *الإمتاع والمؤانسة* لأبي حيان التوحيدي لا يمكن النظر إليه باعتباره نصًا أدبيًا تقليديًا فحسب، بل بوصفه بناءً فكريًا مركبًا تتداخل فيه الأبعاد الفلسفية والإيديولوجية مع البنية السردية والحوارية. وقد تبيّن أن التوحيدي اعتمد على الحوار بوصفه آلية لإنتاج المعرفة وتوليد المعنى، حيث تحوّل النص إلى فضاء جدلي مفتوح يقوم على تعدد الأصوات واختلاف الرؤى، مما منح العمل طابعًا تأويليًا قائمًا على الانفتاح والتفاعل الفكري. كما كشفت الدراسة أن الخطاب الإيديولوجي في النص جاء ضمنيًا وغير مباشر، متخفيًا داخل البنية الحوارية والحجاجية، من خلال معالجة قضايا العقل والمعرفة والحرية والسلطة، دون اللجوء إلى الطرح التقريري المباشر. وأظهرت النتائج أيضًا أن الفكر الفلسفي شكّل عنصرًا بنيويًا داخل البناء الأدبي للكتاب، إذ لم يكن مجرد خلفية معرفية، بل مكوّنًا أساسيًا في تشكيل الرؤية الفكرية للنص. كما أبرز البحث أن التوحيدي استطاع توظيف الحجاج والسرد والحوار لإنتاج خطاب نقدي يعكس أزمة المثقف في العصر العباسي، ويكشف عن التوتر القائم بين حرية الفكر وسلطة الواقع الثقافي والاجتماعي. ومن ثم، فإن *الإمتاع والمؤانسة* يمثل نموذجًا متميزًا لتداخل الأدب بالفلسفة والنقد الثقافي في التراث العربي الإسلامي، بما يجعله نصًا مفتوحًا على تعدد القراءات والتأويلات.

ويمكن اقتراح عدد من الاتجاهات البحثية المرتبطة بموضوع الخطاب الإيديولوجي وتمثلات الفكر الفلسفي في *الإمتاع والمؤانسة* لأبي حيان التوحيدي، حيث يمكن التوسع في دراسة البنية الحوارية بوصفها آلية لإنتاج المعرفة وتفكيك السلطة المعرفية داخل النصوص التراثية، كما يمكن مقارنة خطاب التوحيدي بنصوص أدبية وفكرية أخرى في العصر العباسي للكشف عن تداخل الأدب بالفلسفة في تشكيل الوعي الثقافي. ومن جهة أخرى، يُستحسن توظيف مقاربات نقدية حديثة مثل تحليل الخطاب والنقد الثقافي والسيميائيات السردية لتعميق فهم البعد الإيديولوجي الكامن في النص. كما يمكن دراسة تمثلات الذات المثقفة وأزمة الفكر عند التوحيدي، أو تحليل علاقة الحوار بالحجاج في إنتاج الدلالة. ويفتح الموضوع كذلك آفاقًا لمقارنة رؤية التوحيدي للفكر والعقل مع تصورات فلاسفة آخرين، بما يسمح بإبراز خصوصية مشروعه الفكري داخل التراث العربي الإسلامي.

12- قائمة المراجع(الكتب):

- الأعسم عبد الأمير. (1983) *أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات*، الطبعة الثانية دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- أركون محمد .(1995) .*الفكر العربي* .بيروت: دار الساقي.
- الجابري محمد عابد .(1994) .*بنية العقل العربي* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- التوحيدي أبو حيان. (2010) .*الإمتاع والمؤانسة*، قدم له وشرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- دب علي. (1980) *الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي*، الطبعة الثانية الدار العربية للكتاب، تونس.
- سعيد إدوارد .(2006) .*الاستشراق* .ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: دار الآداب.
- صبحي محيي الدين. (1984) *نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا*، الدار العربية للكتاب، تونس.
- ضيف شوقي .(1990) .*العصر العباسي الثاني* .القاهرة: دار المعارف.